رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة شئون القرآن الكريم
مكتب التوجيه الفني

المصاحف العثمانية وصلتها بالأحرف السبعة

تأليف

د. أبو النور أحمد الزعبي

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن
أستاذ القراءات القرآنية في إدارة شؤون القرآن الكريم
في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الكويت

مكتبة دار البيان
الكويت

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المصاحف العثمانية وصلتها بالأحرف السبعة

حقوق الطبع محفوظة
ولا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب و أي جزء منه
بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه دون
الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر .

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م

نشر وتوزيع
مكتبة دار البيان
للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت - حولي شارع المثنى قرب مطعم الجولان
هاتف وفاكس: ٢٦١٦٤٩٠
ص. ب. ٧٠٩٧ حولي - الرمز البريدي ٣٢٠٩١

أصل هذا الكتاب بحثٌ علميٌ

تخصصي محكّم قدّمه الباحث

للجنة علمية جامعية تعنى

بالبحث والنشر، وقد تم تحكيمه

وأجيز نشره في مجلة كلية

الشريعة والقـانون بطنطا -

جامعة الأزهر- بمصر

بتاريخ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شكر وثناء

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلاله وكرمه ونعمائه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد و آله وصحبه وسلم ، وبعد:

فإني أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لسعادة الوكيل المساعد لشؤون القرآن الكريم والدراسات الإسلامية والحج السيد مطلق القروي على عنايته واهتمامه بالقرآن الكريم، كما أشكر إدارة شؤون القرآن الكريم في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، متمثلة بمديرها الأخ المفضال السيد عبد الله العوضي الذي لم يألو جهداً في نشر كتاب الله، كذلك الشكر المتواصل لأخي وصديقي الأستاذ عباس حمزة المشرف الفني في الإدارة على جهده وإخلاصه وتواضعه وحرصه على نشر هذا الكتاب، كما أشكر تلك الكوكبة من الحفظة لكتاب الله من الدارسين والدارسات في دورات القراءات القرآنية الذين انتظموا في تلك الدورات في تلقي القرآن الكريم بقراءته السبع المتواترة بحرص وجد واجتهاد متمنياً لهم إكمال هذه المسيرة القرآنية حتى يظفروا بختم كتاب الله بقراءاته المتواترة سائلاً للجميع أن يجعلنا من أهل القرآن .

كلمة سعادة الوكيل المساعد لشؤون القرآن الكريم والدراسات الإسلامية والحج

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلاله وكرمه، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وبعد . .

فإن أحق ما يشتغل به الباحثون وأفضل ما يتسابق المتسابقون مدارسة كتاب الله تلاوة وفهماً وتدبراً وحفظاً ، وقد أعلى الله قدر كتابه حيث وصفه بقوله: ﴿**في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة**﴾ (عبس ١٣- ١٦)

ولم يعرف التاريخ في عمره الطويل كتابا أحيط بأسوار من العناية والرعاية والضبط مثل ما عرف عن القرآن الكريم ، فقد نقل إلينا جيلا بعد جيل في مدة زمنية تزيد على ألف وأربعمائة عام سليماً من التحريف والتبديل تصديقاً لقوله الكريم: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾. (الحجر ٩)

ومما يثلج الصدر ويسر العين وجود حلقات القرآن الكريم في دولة الكويت، حيث انطلقت هذه المسيرة القرآنية من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وقد اهتم قطاع شؤون القرآن الكريم في هذه الوزارة بنشر ورعاية هذه المسيرة القرآنية ،إذ أن القرآن هو خير وسيلة لحفظ أبنائنا من الزيغ والانحراف .

وكل ذلك إنما بتشجيع وإخلاص المسؤولين في هذه البلاد المباركة وكان هذا الكتاب«المصاحف العثمانية وصلتها بالأحرف السبعة » لبنة من تلك اللبنات التي ساهمت في ضبط وعناية القرآن الكريم وبيان جهد السلف في جمعهم وضبطهم للقرآن الكريم جيلاً بعد جيل .

جزى الله مؤلف هذا الكتاب خيراً وحفظ الله أبنائنا من كل انحراف وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الوكيل المساعد لشؤون القرآن الكريم والدراسات

مطلق القراوي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

كلمة إدارة شؤون القرآن الكريم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وبعد:

فإنَّ من فضل الله ومنته على الأمة الإسلامية نعمة القرآن الكريم الذي جعله معجزة الأمة الإسلامية الباقية والخالدة إلى يوم القيامة، فقد قال تعالى فيه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت آية: ٥٠-٥١).

ومن نعم الله على الأمة الإسلامية أن أسند حفظ القرآن إلى ذاته القدسية، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر آية: ٩)، وبهذه الخصوصية بقي القرآن مصاناً من أيدي العابثين المحرفين، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت آية: ٤٢).

ومن تمام الحفظ أن هيأ لكتابه جنوداً من عنده ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، حيث هيأ الله الصحابة الكرام لحفظه وصونه، ثم التابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين من حملة القرآن الذين نقلوا القرآن مسلسلاً على مرِّ العصور والأزمان.

وقد وضعت إدارة شؤون القرآن الكريم في وزارة الأوقاف في دولة الكويت على عاتقها مسؤولية حفظ القرآن الكريم ونشره بين أبناء الوطن الحبيب، حيث ازدانت دولة الكويت بحلقات القرآن العامرة فيها، ومن تمام العمل وتوفيقه أن افتتحت دورات في القراءات القرآنية السبعة المتواترة، وقد أعطت هذه الدورات أكلها وثمارها اليانعة، فكانت هذه الرسالة: "المصاحف العثمانية وصلتها بالأحرف السبعة» برهاناً جلياً في توضيح معنى الأحرف السبعة في حديث الرسول ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف»[1].

وما يكثر ترداده حول معنى الحديث وعلاقة الحديث بالقراءات السبعة المتواترة والمصاحف العثمانية.

أسأل الله عز وجل أن يثيب المؤلف ثواباً جزياً على رسالته، وأن يعمر بلاد المسلمين بحلقات القرآن، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مدير إدارة شؤون القرآن الكريم
عبدالله عبد الكريم العوضي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه باب أنزل القرآن على سبعة أحرف برقم ٤٩٩٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف في سطور

الاسم : أحمد عدنان ياسين الزعبي
من مواليد سوريا ١٩٦٣م.

المؤهلات العلمية:

* «بكالوريوس» من كلية الدعوة وأصول الدين من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عام ١٤٠٥هـ.
* ماجستير في تخصص القراءات العشر من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأم درمان (جمهورية السودان) عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
* دكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بأم درمان (جمهورية السودان) عام١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، عنوان الرسالة في الدكتوراه تحقيق كتاب (فتح الوصيد في شرح القصيد) للإمام علم الدين السخاوي المتوفى (٦٤٣هـ) وقد أجيزت الرسالة من اللجنة المناقشة بتقدير (ممتاز) مع التوصية بالطبع.

* مقرئ جامع للقراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة وطيبة النشر بالسند المتواتر إلى النبي ﷺ تلقاها من الشيوخ المتقنين الضابطين للقراءات.

* قرأ على كبار القراء في العالم الإسلامي من أشهرهم الشيخ عبد الفتاح المرصفي، والشيخ أحمد عبدالعزيز الزيات رحمهما الله والمقرىء الشيخ عبد الرازق موسى، والشيخ رمضان نبيه وغيرهم.

أعماله:

* التدريس في المدارس والمعاهد والكليات في كلٍ من المملكة العربية السعودية والكويت.

* رئيس مسابقات القرآن الكريم المحلية في جدة من المملكة العربيةالسعودية.

* أستاذ القراءات القرآنية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت.

* مدرس التفسير وعلوم القرآن المنتدب في كلية التربية الأساسية في الكويت.

* قدم عدداً من البرامج الدعوية الإذاعية في كلٍ من المملكة العربية السعودية ودولة الكويت.

* قدّم عدداً من الأبحاث العلمية التخصصية في مجلات علمية محكمة في كل من مصر والسودان.

مؤلفات وآثار للمؤلف:

١- إرشاد البصير إلى سنة التكبير. مطبوع.
٢- فتح الوصيد في شرح القصيد للإمام السخاوي. دراسة وتحقيق. مجلدين. مطبوع.
٣- المصاحف العثمانية وصلتها بالأحرف السبعة. مطبوع. وهو هذا الكتاب.
٤- القراءات المتواترة وأثرها في علم اللغة. مطبوع.
٥- دراسات في الإعجاز النفسي والعلمي للقرآن الكريم. لم يطبع.

كتب في مجال الدعوة:

١- لماذا غربت شمس الإسلام عن الأندلس «دراسة تحليلية في ضوء التاريخ والواقع المعاصر». مطبوع.
٢- الاستبداد السياسي والاقتصادي وثوابت الصمود والتصدي لهما. تحت الطبع.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد،

فإن من أجل النعم وأعظمها في الأمة الإسلامية نزول القرآن الكريم الذي تحدَّى به الأولين والآخرين على مرِّ العصور دون تبديل أو تغيير، وقد حفظ للأمة الإسلامية عقيدتها وتشريعها ولغتها، وصاغ لها أحكامها فهو منبع العلوم الشرعية ومعينها الذي لا ينضب.

وقد مر القرآن منذ نزوله إلى أن وصل إلينا بمراحل زمنية شاقة، واعترضته عواصف عاتية زادته تألقاً وقوة وجمالاً.

ولولا أن يكون القرآن محفوظاً من عند الله لما وصل إلينا إلا القليل منه بل لو كان هناك كتاب غير هذا الكتاب لطرأ عليه تحريف وتغيير، مثل ماحدث للكتب السماوية الأخرى.

ومن المراحل الشاقة التي مر بها القرآن جمعه من الصدور والصحف في مصحف واحد يكون حكما للأمة الإسلامية إذا اختلفت في كتاب ربها، وقد هيأ الله لحفظ كتابه أئمةً مهتدين، وحفظةً ضابطين، قال تعالى: ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾[1]، وكانت عملية جمعه وتدوينه في العهدين الزاهيين أبي بكر

(١) سورة فصلت آية: (٤٢).

وعثمان رضي الله عنهما أقصى ما يستطيعه الإنسان في ذلك الزمن الذي لم تتوفر فيه إلا هذه الوسائل من الحفظ والكتابة، حيث لم تتهيأ لديهم الوسائل المادية كما تهيأت في عصرنا هذا، ولكن قدر الله الذي هيأ أولئك الرجال لحفظ كتابه العظيم، قال تعالى: ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾[1].

وقد وفق الله أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لجمعه الجمع الأخير، حيث أمر بنسخ القرآن ضمن شروط قوية عالية، وكانت عدد النسخ التي أمر بكتابتها ست نسخ[2]، واحتفظ بواحدة منها لنفسه التي عرفت بعد بمصحف الإمام.

ومن توفيق الله له أن أحرق كل مصحف سوى المصاحف التي أمر بكتابتها، وذلك ليقضي على كل حرف منسوخ أو ممن كان يقرأ قبل العرضة الأخيرة، وقد وافقته الأمة على هذا العمل، وهذا من توفيق الله للأمة المحمدية التي لا تجتمع على ضلالة.

وجُرِّد المصحف من التنقيط والشكل، وكتب برسم خاص به ليحتمل الأحرف السبعة، التي بها نزل القرآن لقول رسول الله ﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**»[3].

وقد تناولت في هذا البحث صلة المصاحف العثمانية بهذه الأحرف السبعة، ليكون المرء على بصيرة شاملة من كتاب الله الذي يقرؤه، وجاء البحث مشتملاً على مقدمة وعدة مطالب هي:

---

(١) سورة فصلت آية: (٤٢).

(٢) اختلف العلماء في عددها والمشهور أنها ستة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه باب أنزل القرآن على سبعة أخرف برقم ٤٩٩٢.

المطلب الأول : مراحل جمع القرآن

المطلب الثاني : الحكمة من تحريق عثمان رضي الله عنه للمصاحف الأخرى، والرد على دعاوى المرجفين في ذلك.

المطلب الثالث : بيان الرسم العثماني.

المطلب الرابع : نقض أوهام المستشرقين في القراءات المتواترة.

المطلب الخامس : المعنى الصحيح للأحرف السبعة.

المطلب السادس : مناقشة من زعم أنَّ عثمان رضي الله عنه ألزم الأمة بحرف واحد من الأحرف السبعة.

المطلب السابع : بيان اعتراض عبدالله بن مسعود رضي الله عنه على مصحف عثمان رضي الله عنه ثم موافقته بعد ذلك.

المطلب الثامن : بيان الأوجه القرآنية المنسوبة لأبيّ بن كعب رضي الله عنه ورجوعه عنها.

خاتمة

د/ أحمد عدنان الزعبي

الكويت : ١/ ٤/ ١٤٢٥هـ

الموافق : ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤ م.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المطلب الأول

مراحل جمع القرآن الكريم

في العهد النبوي :

كان القرآن ينزل على الرسول ﷺ في بضع وعشرين سنة، وكان قلبه يحفظ كل ما وعى ونزل عليه.

وقد بلّغ الرسول ﷺ الأمة القرآن كاملا، واعتمدت في ذلك على سجية ذاكرتها القوية تستعيض عن أميتها بقوة حفظها في صدورها، وهناك ثلة قليلة عرفت القراءة والكتابة، فاتخذهم النبي ﷺ كتّاباً للوحي فمنهم: معاوية بن أبي سفيان، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبان بن قيس، فكانوا يكتبون كل ما نزل على الرسول ﷺ من القرآن بعد حفظه واستظهاره منه ﷺ.

ولم تكن وسائل الكتابة متوفرة لديهم، بل كانت محدودة حسب بيئتهم وعصرهم البدائي، فكانوا يكتبون القرآن في العسب، واللخاف، والرقاع، وقطع الأديم، وعظام الأكتاف والأضلاع، وهي عملية توثيق في الحيطة والتدقيق والضبط للحفظ في الصدور.

ولم يكن القرآن مجموعاً في مصحف واحد بل بقي مفرّقاً في سوره بين الصحابة، لأن القرآن كان يتنزل حسَب الوَقائع والأحداث، وكانت بعض آياته تنسخ، ولم يكن نزول آياته حسب الترتيب.

قال الخطابي :

«إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقبه منه ورود ناسخ لبعض آياته وتلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة ، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق»[1] ، وقد روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه : قال : **«قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء»** .

ومعنى كلامه : أنه لم يكن قد جمع القرآن مرتب الآيات السور في مصحف واحد، بل كانت سوره مفرقة بين الصحابة فعند هذا سورة، وعندَ ذاك سورة، وما عند هذا ليس ما عند ذاك، ولم يتم تدوينه في مصحف واحد لأمرين :

١ - اهتمام الصَحابَة رضي الله عنهما بحفظه واستظهاره في صدورهم لا بكتابته .

٢ - أن القرآن كانت تنسخ منه آيات، وكان الوحي يتنزل عليه باستمرار فلو جُمع في مصحف واحد، لأدى إلى التغيير في كل وقت، ولهذا السبب تأخر جَمع القرآن وكتابته في مصحف واحد .

قال ابن حجر : **« وقد كان القرآن كله كتب في عهد النبي ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور»**[2] .

وقد اكتمل نزول القرآن في آخر حياة الرسول ﷺ، وعَرَضه

---

(١) فتح الباري ٩/ ١٢ ، الإتقان في علوم القرآن ١/ ٥٧ .
(٢) فتح الباري ٩/ ١٢ .

على جبريل مرتين، وبوفاته ﷺ أصبح القرآن كاملاً عند الصحابة مفرقاً بين سوره، محفوظاً في الصدور مكتوباً في السطور غير أنه لم يكن مجموعاً في مكان واحد[1].

وتوفي رسول الله ﷺ والقرآن محفوظ في الصدور، وموزع في الصحف، مفرق السور بين صحابته رضي الله عنهم.

في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

في معركة اليمامة قتلت أعداد كبيرة من حملة القرآن الذين عُرفوا بالقراء حيث كانوا يشكلون قوةً في جيش المسلمين الذي سيّره أبو بكر رضي الله عنه لقتال المرتدين، واستشهد في المعركة سبعون قارئاً من خيار الصحابة، فأفزع ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدخل على أبي بكر رضي الله عنه، وأشار عيه بجمع القرآن، وتردد خليفة المسلمين في البداية حيث يقدم على أمرٍ لم يفعله رسول الله ﷺ، ولكن شرح الله صدره لذلك فيما بعدُ، فأرسل إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه الذي شهد العرضة الأخيرة، ومن كتبة الوحي، وقال له: **«إنك شابٌ عاقل لا نتهمك، وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فقم واجمع القرآن»**[2].

وهي مهمة شاقة جسيمة وقعت على كاهل زيد، فقال: **«والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل مما أمرني به من**

---

(١) من علوم القرآن، عبدالفتاح القاضي، ص ٣٧.

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري رقم ٤٩٨٦. ٩/ ١٠.

جمع القرآن»[1].

وقد وضعت اللجنة شروطاً لقبول السور من الصحابة وهي[2]:

- حفظ القرآن من قبل اللجنة المشرفة على الجمع وبخاصة زيد بن ثابت.

- مطابقته للمكتوب الذي كتب بين يدي الرسول ﷺ حيث كتب القرآن في عهد النبي ﷺ، وكان مفرق الآيات والسور بين الصحابة.

- حفظ الشخص الذي يأتي بالسورة.

- شهود اثنين أن السورة التي يأتي بها الصحابي كتبت بين يدي الرسول ﷺ.

قال زيد: فتتبعت القرآن أجمعه حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحدٍ غيره ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾[3][4].

ويعني زيد أنه لم يجدها مكتوبة إلا مع أبي خزيمة رضي الله عنه، على الرغم من أن كثيراً من الصحابة كانوا يحفظونها، ولكنه أراد أن يجمع إلى الحفظ الكتابة، وكونها متواترة محفوظة في قلوب الصحابة قامت مقام الشاهدين اللذين اشترطهما في عمله.

وهذه الشروط تمثل أعلى درجات الضبط في قبول الخبر في ذلك العصر، فجمع القرآن كاملاً من الرقاع، والأكتاف، والعسب، فصار

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري رقم ٤٩٨٦. ٩/ ١٠.

(٢) انظر الاتقان ١/ ٥٨.

(٣) قال ابن حجر: وكان غرض زيد التثبت عمن تلقاها بغير واسطة، وفائدة التتبع المبالغة في الاستظهار. فتح الباري ٩/ ٥.

(٤) سورة التوبة آية/ ١٢٨.

مصحفاً واحداً مرتب الآيات، على درجة عالية من التثبت والدقة، وهكذا تم الجمع كاملاً خلال سنة واحدة.

ومما يلاحظ أن مصحف أبي بكر أُسبِغَ بطابع شخصي[1] على الرغم من العناية التي بذلت في جمعه، فعندما جاءت خلافة عثمان جعل هذا المصحف وثيقةً معتمدة لدى كافة الأمصار.

في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه :

اتسعت الفتوحات الإسلامية، وانتشر صحابة رسول الله ﷺ في البلدان يقرئون أهل الأمصار القراءة التي أخذوها عن رسول الله ﷺ، فكان أهل العراق يقرؤون بقراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وأهل الشام يقرؤون بقراءة أبيّ بن كعب.

وفي غزوة «أرمينية» و «أذربيجان» اجتمعت جيوش الشام والعراق، وسمع بعضهم قراءة بعض، فرأوا اختلافاً في وجوه القراءة، فتعصب كل فريق لقراءته، وخطّأ قراءة الآخر[2]، فاختلفوا حتى كفّر بعضهم بعضاً، فرأى حذيفة هذا الأمر، لأنه كان يغازي معهم، فأفزعه ذلك فحضر إلى المدينة، وقال لعثمان: «أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى».

فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في

---

(١) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم، للدكتور دراز ص ٣٨.

(٢) مثل «وأتموا الحج والعمرة لله» قرأها البعض «وأتموا الحج والعمرة للبيت». وهي قراءة شاذة قرئت قبل العرضة الأخيرة. انظر: فتح الباري ٨/ ٦٣٤.

المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة:

إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق»[1].

وتمت كتابة المصحف على لغة قريش لأنه نزل بلسانهم، وحيث هي أفصح اللهجات، فجميع لهجات القبائل العربية دون اللهجة القرشية في المستوى الأدبي.

ومما يؤكد ذلك ما أخرجه أبو الفضل الرازي بسنده عن قتادة: أن معاوية رضي الله عنه قال يوما: أي الناس أفصح؟ فقام رجل فقال: قوم ارتفعوا عن فراتية العراق، وتياسروا عن كَسْكَسة بكر، وتيامنوا عن كَشْكَشة تميم ليس فيهم غمْغَمَة قضاعة، ولا طَمْطَمَانية حميّر، قال: من هم.؟ قال: قومك قريش؟ قال: صدقت، ممن أنت، قال: من جُرم[2].

وعندما اختلفوا في كلمة ﴿التابوت﴾ قال زيد: ﴿التابوت﴾،

(١) البخاري ٦/ ٩٩، البرهان للزركشي ١/ ١٣٩.

(٢) قال أبو الفضل الرازي: فراتية العراق الانعقاد الذي يوجد في كلام المستعربين ممن ليسوا صميم العرب، وكسكسة بكر هي لثغة لهم، وطمطمانية حمير هي العجمة. شرح حديث الأحرف السبعة لأبي الفضل الرازي، مخطوط ق ٤٤ بالمدرسة الأحمدية بحلب.

وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص: ﴿التابوت﴾ فرفع الاختلاف إلى عثمان رضي الله عنه فقال اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش[1].

وكان الخليفة عثمان رضي الله عنه المشرف على الجمع، فتم نسخ المصاحف من صحف أبي بكر رضي الله عنه، وامتاز هذا الجمع بما يلي[2]:

- كتب القرآن الكريم بلغة قريش لأنه نزل بلسانهم.

- تجريد المصاحف العثمانية من كل ما ليس قرآناً، كالشروح والتفاسير التي كتبها بعض الصحابة على صحفهم.

- تجريد المصاحف من النقط والشكل والإعجام، وذلك ليفسح المجال لقراءة القرآن بأي حرف من الحروف السبعة.

- إذا كان الحرف القرآني يقرأ بأكثر من قراءة متواترة «وتعذر رسمه في الخط ليحتمل كل الوجوه القرآنية رسم في مصحف برسم وفي الآخر ليدل على القراءة الأخرى»[3] نحو قوله: ﴿تجري تحتها الأنهار﴾ في سورة التوبة[4]، فكتب في

---

(١) ويفيد قول عثمان: أن لغة قريش هي اللغة النموذجية الأدبية الذائعة حين نزول القرآن، وقد استوفت شروط الغلبة والفصاحة وبها قيل الشعر الجاهلي، وتوفر فيها جميع العوامل التي جعلت منها اللهجة السائدة، ومن هذه العوامل العامل الديني لوجود بيت الله، والعامل السياسي، والاقتصادي كل ذلك أعطاها شهرة ومكانة عند القبائل الأخرى، وقد جمعت معظم لهجات القبائل العربية، أو يراد الاختلاف في الكتابة والرسم لا في الألفاظ والحروف، لأنه قال: اكتبوه بلسان قريش.
وبهذا التبيين لا إشكال بين حديث رسول الله ﷺ (أنزل القرآن على سبعة أحرف) وبين قول عثمان.

(٢) انظر: مدخل إلى تفسير القرآن رعلومه د. عدنان زرزور ص ١٢١.

(٣) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه د. عدنان زرزور ص ١٢٣.

(٤) آية: (١٠٠).

بعض المصاحف بزيادة (من) والبعض الآخر بحذفها لتحتمل القراءتين[1].

وبهذا العمل يتضح أن عثمان رضي الله عنه لم يلزم الأمة بقراءة القرآن بحرف واحد[2]، ولم يمنع أحداً من القراءة بأي حرف كان طالما أن هذه الحروف متواترة عن النبي ﷺ، ولم يسقط من المصاحف أي حرف من حروفه السبعة، ولا صحة من أن عثمان أمرهم أن يتركوا ستة أحرف، ويبقوا حرفاً واحداً كما ذهب إلى هذا القول بعض الأئمة كابن جرير الطبري رحمه الله، وإذا كان هناك من يحتج بقول عثمان رضي الله عنه: «**اكتبوه بلسان قريش**»، فقد أجبت على هذا الإشكال فيما تقدم.

وإذا كانوا يعللون قولهم بأن عثمان ألزم الأمة بحرف واحد خوف الفتنة، وحرصا على توحيد الكلمة بين المسلمين، وخوف الشقاق والتفرق. فأقول: بل في توحيد المسلمين والقضاء على الفتنة هو إقرار النازل كما نزل من تعدد حروفه إلى سبعة أحرف تيسيراً لهذه الأمة، ورحمة بها وإعلام الأمة بهذه الأحرف المتواترة حتى يتركوا سواه، لأن ما سواه يكون شاذاً غير متواتر لا يجوز القراءة به، وبهذا العمل تجتمع كلمة المسلمين، وهذا العمل فعله رسول الله ﷺ عندما اختصم صحابيان في أيهما أصح قراءة فاستمع للاثنين، وقال لكل واحد: هكذا أنْزل، فقد أقرهم رسول الله ﷺ وأفهمهم

---

(١) انظر مناهل العرفان ١/ ٢٥٢.

(٢) بعض الكتاب المعاصرين ذكر في مؤلفه أن عثمان ألزم الأمة أن تقرأ القرآن على حرف واحد حسماً للخلاف، وهذا رأي مرجوح مستبعد. ومن هؤلاء الشيخ مناع القطان رحمه الله في كتابه مباحث في علوم القرآن ص ١٣٢.

أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وجعل كل واحد منهما على صواب في قراءته[1].

وقد كُتب القرآن من غير شكل ولا تنقيط ليكون رسمه فيه سعة يحتمل الأحرف السبعة، فأي كلمة يحتمل رسمها أكثر من قراءة، كتبت من غير شكل ولا تنقيط نحو: ﴿ننشزها﴾ «سورة البقرة ٢٥٩» رسمت في المصحف العثماني[2] ﴿سرها﴾، فأحتملت القراءتين ﴿ننشزها﴾، و﴿ننشرها﴾، و﴿فتبينوا﴾ رسمت ﴿فتثبتوا﴾، فاحتملت القراءتين ﴿فتبينوا﴾ و ﴿فتثبتوا﴾.

يتضح جلياً أن اختلاف القراء الذي أفزع حذيفة كان بسبب أحرف وقراءات تلقاها أولئك قبل العرضة الأخيرة ولم يبلغهم نسخهاً، فعندما أخبر عثمان رضي الله عنه بذلك قام بعمله الرائد وجمع الناس على ما تواترت قراءته بعد العرضة الأخيرة.

وبهذا العمل العظيم الذي فعله عثمان رضي الله عنه أدى للأمة معروفاً لا يمكن أن ينسى، حيث قضى على الشجار والجدال بين المسلمين الذي حملهم على تكفير بعضهم بعضا، وغدت المصاحف العثمانية حكما شرعياً بين الصحابة يحتمل رسمها القراءات القرآنية المتواترة.

---

(١) انظر هذه المسألة في مناهل العرفان ص٣٩٣.

(٢) لا يكفي لصحة القراءة موافقتها للرسم، بل لا بد من تحقق صحة السند المتواتر، وقد ذكر العلماء شروط القراءة الصحيحة، وهي: صحة السند، موافقتها للرسم العثماني ولو احتمالاً، موافقتها للعربية لو بوجه. النشر في القراءات العشر ١/ ٩.

المطلب الثاني

الحكمة من تحريق عثمان رضي الله عنه للمصاحف الأخرى، والرد على دعاوى المرجفين في ذلك

بعد أن تمت عملية الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه كتبت مصاحف متعددة للأقاليم والأمصار في الدولة الإسلامية، واتخذ الخليفة مصحفاً له عُرف بمصحف الإمام، ثم أمر رضي الله عنه بجمع المصاحف التي كانت مكتوبة قبل ذلك وأمر بحرقها.

وقد دافع علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما سمع بعض الناقمين ينال من الخليفة عثمان رضي الله عنه لأنه أحرق المصاحف، فقال مثنياً على فعله: «**يامعشر الناس اتقوا الله، وإياكم أن تغالوا في عثمان، وقولكم: حراق المصاحف، فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب محمد ﷺ**»[1].

وهذا العمل الذي فعله عثمان اتخذ منه بعض المستشرقين مادة للتشكيك في القرآن، والقول بأنه غير كامل.

ومعلوم أن سبب الحرق: كون بعض هذه المصاحف التي أحرقت كانت تحتوي على بعض الكلمات القرآنية المنسوخة التي كتبت قبل العرضة الأخيرة، فتم إبعادها والتخلص منها.

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٧.

وهكذا وقف الصحابة رضي الله عنهم وقفة ثابتة في أخطر قضية مرت عليهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، والتي تتصل وتتعلق بكتاب الله الذي في حفظه حفظ للشريعة كلها، وقد تحقق قول رب العالمين ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[1]، وهذ خصوصية للقرآن الكريم وتكرمة للأمة المحمدية.

(١) سورة الحجر: الآية (٩).

المطلب الثالث

بيان الرسم العثماني

أمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بنسخ ستة مصاحف متعددة، وقيل سبعة[1]، وأرسلها إلى عدد من الأمصار في الدولة الإسلامية، وأرسل مع كل مصحف قارئاً يقرىء القراءة التي تلقيت عن رسول الله ﷺ الموافقة لرسم المصحف الذي وجه إليهم، وحسب لهجتهم التي درجوا عليها.

وكان الرسم الذي كتبت به المصاحف يخالف القواعد الإملائية الحديثة، وقد عرف فيما بعد بالرسم العثماني، نسبة إلى عثمان بن عفان الذي تم في عهده جمع المصحف الجمع الأخير التي استقر عليه.

وقد ساعد الرسم الذي كتبت به المصاحف العثمانية على إثبات الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن لقوله ﷺ: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**»[2]. وقد احتمل الرسم الأحرف السبعة، ومالم يحتمله الرسم، كتب بأكثر من رسم وفرقوه في المصاحف برسمين مختلفين، ومن هنا وجدت فروق يسيرة بين المصاحف العثمانية، منها:

قوله تعالى: ﴿**وما عملته أيديهم**﴾ «سورة يس ٣٥» فيها قراءتان ﴿**ومما عملته أيديهم**﴾، ﴿**وما عملت أيديهم**﴾، و ﴿**ووصى بها إبراهيم**﴾ «سورة البقرة ١٣٢»، قرىء، ﴿**وأوصى**﴾ ﴿**ووصى**﴾، و﴿**وسارعوا إلى**﴾ «سورة آل عمران ١٣٣»، قرىء: ﴿**سارعوا إلى**﴾

---

(١) كتاب المصاحف ص ٣٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه باب أنزل القرآن على سبعة أحرف برقم ٤٩٩٢.

﴿وسارعوا إلى﴾، و ﴿قالوا اتخذا الله ولداً﴾ «سورة البقرة ١١٦»، قرىء: ﴿قالوا اتخذ الله ولدا﴾، ولما كانت هذه القراءات وما شابهها لا يحتملها رسم واحد، كتبت في بعض المصاحف برسم وفي بعضها برسم آخر.

مذاهب العلماء في التزام الرسم العثماني:

يقصد بالرسم العثماني رسم القرآن بالطريقة التي تمت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهذ الطريقة التي اعتمدتها اللجنة المكلفة بنسخ مصاحف الأمصار.

ومن المعلوم أن الأصل في الكتابة أن توافق النطق من غير تعديل، إلا في الرسم العثماني فلم توافق الكتابة منطوق الكلمة موافقة تامة، بل هناك كثير من الأحرف القرآنية رسمت رسماً خاصاً بها غير خاضع لقواعد الإملاء.

وقد ذهب سلف من الأئمة والعلماء وهم جمهور الأمة إلى وجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصحف لايجوز العدول عنه من الصحابة والتابعين وتابع التابعين وعلماء الشريعة كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد، واستدلوا على ذلك بأن الرسم الذي كتبت به المصاحف قد أثُر عن رسول اللهﷺ، واقتدى به صحابة رسول الله ﷺ كأبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، واستمر ذلك الرسم إلى يومنا هذا، ولم ينقل عن أحد من الصحابة أو التابعين أن غيّر الرسم.

سئل مالك إمام دار الهجرة رضي الله عنه: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء، فقال: لا إلا على الكتبة الأولى[1].

وسئل في موضع آخر عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك، قال: (لا)، قال أبوعمرو الداني: يعني الواو والألف المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو: أولوا، قال أبوعمرو الداني: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة[2].

قال الجعبري معقباً على قول مالك: وهذا مذهب الأئمة الأربعة رضي الله عنهم وخص مالكاً لأنه حكى مبناه، ومستندهم مستند الخلفاء الأربعة[3].

وقال الأمام أحمد بن حنبل: تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف[4].

وقال البيهقي في الشعب: من يكتب مصحفاً ينبغي أن يحافظ على الهجاء بالذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة[5].

كل هذه النصوص تؤيد وجوب التزام الرسم العثماني في كتابة المصاحف، لا سيما وأنه أحد أركان قبول القراءة الصحيحة.

---

(١) رواه الداني في المقنع ص٩، انظر: الاتقان في علوم القرآن ٢/ ١٦٧.
(٢) المقنع ص ١٠، وانظر الاتقان في علوم القرآن ٢/ ١٦٧.
(٣) الجميلة للجعبري ورقة ٣٩
(٤) الاتقان في علوم القرآن ٢/ ١٦٧.
(٥) الاتقان في علوم القرآن ٢/ ١٦٧. شعب الإيمان ٥٠/ ٦٠٠

المطلب الرابع

نقض أوهام المستشرقين في القراءات المتواترة

قام ثلة من أعداء الإسلام ببث شكوكهم وتخاليطهم في القرآن وقراءاته، وذلك لزعزعة صحة القرآن في قلوب المسلمين، ومن أمثال هؤلاء المستشرقين المستشرق «جولدزيهر»، حيث قال في كتابه: **«والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة، تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية، وفقدان الشكل في الخط العربي، يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب، فهذه التكميلات للرسم الكتابي، ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات»**[1].

ويزعم أن منشأ الاختلاف في تنوع القراءات إلي تجريد المصاحف من الإعجام وليس الأصل في نزولها من عند الله.

وهذا الكلام ساقط ينم عن حقد وطعن في كتاب الله، فالأدلة في السنة تثبت أن منشأ الاختلاف في تعدد القراءات يرجع إلى الوحي الإلهي عن الله عزوجل منقول بأسانيد متواترة عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام، عن رب العالمين ثم إن الأصل في تنوع القراءات ذكر في أحاديث صحيحة منها:

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي ص٨.

«إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منه» ، وكذلك ماروى مسلم في صحيحه : **«أن جبريل عليه السلام قال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيما حرف قرؤوا عليه ، فقد أصابوا»**[1] .

فهذه النصوص وغيرها تدل على أن القرآن أنزل بأوجه متعددة تيسيراً ورحمة للأمة المحمدية .

وليس صحيحا ما ادعاه «جولدزيهر» من أن خلو المصاحف من الشكل والإعجام سبب في تنوع القراءات وتعددها ، وسأذكر أمثلة من القراءات تبطل فرية قوله .

في سورة البقرة[2] قوله تعالى : **﴿فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾** ، وفي سورة النساء[3] قوله تعالى : **﴿فأخذتهم الصاعقة بظلمهم﴾** ، وفي سورة فصلت[4] : **﴿فإن أعرضوا فقد أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾** ، وكذلك في الموضع نفسه **﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾** ، وفي سورة الذاريات[5] : **﴿فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة﴾** .

لقد رسمت كلمة **﴿الصاعقة﴾** في المواضع الستة في المصاحف العثمانية بدون ألف بعد الصاد ، وقد أجمع القراء على قراءتها في المواضع الخمسة الأولى بإثبات ألف بعد الصاد مع كسر العين .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٢٠٣ .
(٢) آية (٥٥)
(٣) آية (١٥٣).
(٤) آية (١٣ ,١٧).
(٥) آية (٤٤).

واختلفوا في الموضع الأخير في سورة الذاريات فقرأها بعضهم بألف بعد الصاد مع كسر العين، والبعض قرأها بحذف الألف مع سكون العين. فلو كان منشأ الخلاف رسم المصحف للزم أن تكون القراءة في المواضع كلها بألف بعد الصاد مع كسر العين، ولكن الموضع الذي في الذاريات اختلفت قراءته عن المواضع الأخرى مع أن الرسم في المواضع كلها واحد.

وهذا دليل أن القراءة ليست بالتشهي والقياس، وإنمابالتلقي والمشافهة والسماع، مع تواتر الإسناد إلى رسول الله ﷺ.

ولنأخذ مثالاً آخر جاءت كلمة الرضاعة في القرآن في موضعين، قوله تعالى: **﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾**[1]، وقوله: **﴿وأخواتكم من الرضاعة﴾**[2]، ففي راء الرضاعة تجوِّز اللغة الفتح والكسر في الراء والرسم يحتمل كلا اللغتين، ولكن أجمع القراء على القراءة في الموضعين بفتح الراء، فلو كان منشأ القراءة رسم الكلمة كما زعم لكان ينبغي أن تقرأ بالفتح والكسر.

اختلف القراء في قراءة **﴿ينفخ﴾** في قوله تعالى: **﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً﴾** في سورة طه[3] فقرأ بعضهم بالياء والبعض بالنون وكلتا القراءتين صحيح، ،وأما الموضع الذي في النمل في قوله تعالى[4] **﴿يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات**

---

(١) البقرة ٢٣١.
(٢) النساء ٢٣.
(٣) آية (١٠٢).
(٤) آية (٨٧).

ومن في الأرض﴾ وفي سورة النبأ[1] ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ ففي الموضعين النمل والنبأ اتفق القراء على القراءة بالياء التحتية مع أن رسم الكلمات في المواضع الثلاثة واحد، علماً أن السياق الذي في النمل يتسق بقراءته بالنون، ولكن قرىء بالياء، فأين مايدعيه من أن منشأ التعدد في القراءة رسم الكلمة في المصاحف[2].

سأل الأصمعي المازني ماتقول في قول الله عز وجل: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ «القمر ٤٩» فقال المازني يذهب سيبويه إلى أن الرفع فيه أقل من النصب في اللغة العربية لاشتغال الفعل بالضمير[3].

وليس هناك شيء هو بالفعل أولى، ولكن لم يثبت القراء إلا النصب، فنحن نقرؤها كذلك إتباعاً لأن القراءة سنة.

فانظر إلى الأمانة والثقة عند أبي عمرو البصري حيث تجيز اللغة القراءة بالرفع، ولكنها قرأها بالنصب اتباعاً للأثر[4].

ومما يدل أن القراءة سنة متبعة وليس الرسم قراءة حفص في قوله تعالى ﴿بسم الله مجرها ومرساها﴾ «هود٤١» فإنه لم يمل كلمة من القرآن إلا ﴿مجراها﴾ فقط، فما الذي دفعه لاختيار هذه الكلمة عن غيرها أهو الهوى والنظر، أم اتباع الأثر والنقل!.

وهل يمكن أن يقرأ رسول الله ﷺ أو الصحابة أو التابعون كتاب الله بالتشهي وقد وصف كتابه بقوله: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل

---

(١) آية (١٨).
(٢) القراءات في نظر المستشرقين ص ٧١.
(٣) أخبار الزجاجي ورقة ٣٦.
(٤) رسم المصحف العثماني ص ٤١.

لأخذنا منه باليمين﴾ «الحاقة٤٤»، ﴿لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه﴾ «فصلت٤١»، وقوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ «الحجر٩».

وبعد هذا كله نقف أمام كتاب الله بإعجاب ودهشة في دقة نقله وضبطه، وأمانة القراء الذين نقلوا كتاب الله بأسانيد متواترة لا زيادة ولا نقصان.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المطلب الخامس

بيان معنى الأحرف السبعة

نزل القرآن الكريم والجزيرة العربية كانت ولا تزال قبائل متعددة مختلفة اللهجات، متباينة الألفاظ.

وقد برزت لهجة قريش على غيرها من اللهجات، فهي أغزر اللهجات العربية مادة، وأغناها ثروة، وأقدرها على التعبير والوصف بألفاظ وأساليب شتى.

ومن هذا المنطلق نزل القرآن بلسان عربي مبين، وكتب حسب اللهجة السائدة المنتشرة، لأنها اللهجة المثالية عند معظم العرب، وهذا باعتراف الفصحاء من غير قريش كما تقدم.

ولما كانت الألسن العربية المختلفة قد تعودت النطق حسب البيئة التي نشأت بها، ومن الصعب على العربي في قبيلة من القبائل أن يتحول عن لهجته التي نشأ بها، لا سيما أنه تعود النطق فيها منذ يفوعة عمره وحتى شيخوخته، وتجلت رحمة الله بنزول القرآن ميسراً لكل العرب قال تعالى: ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾[1].

ومن تيسيره أنه نزل بالأحرف السبعة، لتسهل القراءة على القبائل المتعددة اللهجات، وكان النبي ﷺ يقرىء الصحابة القرآن حسب لهجاتهم التي درجوا عليها.

---

(١) القمر آية ١٧.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدْتُ أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلَّم، فلببته بردائه، فقلتَ: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ.

قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإنَّ رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حرف لم تقرئنيها.

فقال رسول الله ﷺ: أرسله اقرأ ياهشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعتها يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ ياعمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه[1].

وقد حكم رسول الله ﷺ على كلتا القرائتين بالصحة، وصوَّب فعل الاثنين.

وعلى الرغم أن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهما كانا قرشيين ولهجتهما واحدة، غير أنهما اختلفا في القراءة، وإنكار عمر على هشام لأنه سمع منه قراءة لم يسمعها من رسول الله ﷺ، ويحتمل أن رسول الله أقرأه ماليس من لغته.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه باب أنزل القرآن على سبعة أحرف برقم ٤٩٩٢.

قال ابن حجر[1]:

كان سبب اختلاف قراءتهما: أن عمر حفظ هذه السورة من رسول الله ﷺ قديما، ثم لم يسمع ما نزل بخلاف ما حفظه وشاهده، لأن هشاماً من مسلمة الفتح، فكان النبي ﷺ أقرأه ما نزل أخيراً فنشأ اختلافهما من ذلك، ومبادرة عمر رضي الله عنه للإنكار محمولة على أنه لم يكن سمع حديث رسول الله ﷺ **«أنزل القرآن على سبعة أحرف»** إلا في هذه الواقعة.

وهذه الأوجه إنما هي رحمة وتيسير لهذه الأمة، فهناك الشيخ، والعجوز، والأمي، فإذا ألزموا بقراءة وجه واحد شق عليهم ذلك، وكيف تقوم ألسنتهم على هذا الحرف، وقد استمرأت الألسن النطق على لهجتهم، فهناك من القبائل من يهمز، وهناك من لا يهمز، وهناك من يفتح، ومن يميل، ومن يسهل الهمز، ومن لا يسهل، ومن يظهر، ومن يدغم، فرخص لهم القراءة بالأحرف السبعة لتوافق لهجاتهم وتكون تلاوته ميسرة عليهم.

---

(٢) فتح الباري ٩/ ٢١.

معنى الأحرف

تعريف الحرف لغةً:

هناك إطلاقات متعددة على معنى الحرف فمنها طرف الشيء، ومنه حرْف الحبل وحروف الهجاء أطراف الكلم، وتأتي بمعنى الوجه[1]، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ (الحج: ١١)

أما المعنى الاصطلاحي للأحرف السبعة، فقد اختلف العلماء في المراد فيها إلى أقوال متعددة أذكر أقوالهم المشهورة، ثم أذكر الراجح منها.

الأول: أن حقيقة العد ليست مرادة، ولكن يطلق لفظ السبعة ويراد منه الكثرة في الأحاد، وقد رخص للصحابة أن يقرأ كل منهم بلغته دون تحديد، وهذا القول نسب إلى القاضي عياض[2].

الثاني: أن المقصود سبعة أصناف من المعاني والأحكام، وهي الحلال والحرام، والأمر، والزجر، والمحكم، والمتشابه، والأمثال.

الثالث: أن المراد سبع لغات من لغات العرب الفصحى، وهي أي: اللغات متفرقة في الأحرف السبعة[3].

الرابع: قول ابن جرير الطبري: أن هذه اللغات السبع تكون في الكلمة الواحدة في الحرف الواحد باختلاف الألفاظ

---

(١)

(٢) الاتقان في علوم القرآن ص ١٣١.

(٣) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٥.

واتفاق المعاني، كقول القائل: هلم، وأقبل، وتعال، وإلي، وقصدي، ونحوي[1].

ثم قال: «إن هذه اللغات لم تبق جميعها، بل إن عثمان رضي الله عنه جمع المسلمين على حرف واحد ومصحف واحد، وحرق ماعدا المصحف الذي جمعهم عليه، فتركت الأمة القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها، ثم درست من الأمة معرفتها، وتعفَّت آثارها، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها»[2].

الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة الأنواع التي يقع بها التغاير والاختلاف في الكلمات القرآنية وهو قول ابن قتيبة، وأبي الفضل الرازي، ومحمد بن الجزري، وهي سبعة أوجه:

١-الاختلاف في وجوه الإعراب مثاله: ﴿**فتلقى آدم من ربه كلمات**﴾[3]. فقد قرىء برفع ﴿**آدم**﴾، وجر ﴿**كلمات**﴾، وقرىء بنصب ﴿**آدم**﴾ ورفع ﴿**كلمات**﴾.

٢- الاختلاف في تصريف الأفعال مثاله: ﴿**تعلمون**﴾﴿**يعلمون**﴾ حسب المواضع في ذلك.

٣- الاختلاف بالزيادة والنقصان مثاله: ﴿**وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار**﴾[4]، قرىء ﴿**من تحتها الأنهار**﴾ بزيادة ﴿**من**﴾ وهي قراءة ابن كثير.

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ١/ ٢١.
(٢) تفسير ابن جرير الطبري ١/ ٥٧-٦٤.
(٣) البقرة: (٢٧).
(٤) التوبة: آية ١٠٠.

٤- الاختلاف بالتقديم والتأخير مثاله: ﴿فيقتلون ويقتلون﴾[١]، أو القراءة الشاذة ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت﴾.

٥-الاختلاف بالإبدال مثاله: ﴿وانظر إلى العظام كيف ننشزها﴾[٢] قرىء بالزاي مع ضم النون، وقرىء بالراء المهملة مع فتح النون.

٦- الاختلاف بالإفراد والتذكير مثاله: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾[٣] قرىء ﴿لأماناتهم﴾ بالجمع، وقرىء ﴿لأمانتهم﴾ بالإفراد.

٧- اختلاف اللهجات بالفتح والإمالة، والإظهار والإدغام، والهمز والتسهيل. مثاله: ﴿ويقيمون الصلاة﴾[٤] قرىء بتفخيم اللام بعد الصاد، والبعض قرأ بالترقيق، وكذلك ﴿يؤمنون﴾ قرئت بالهمز وتركه.

كانت هذه أهم آراء العلماء السابقين في بيان معنى الأحرف السبعة.

---

(١) التوبة: آية ١١١.
(٢) البقرة: آية ٢٥٩.
(٣) المعارج: آية ٣٢.
(٤) البقرة: آية ٣.

القول الراجح في حقيقية الأحرف السبعة

لو عدنا مرة أخرى إلى حديث رسول الله ﷺ عندما قال لعمر بن الخطاب وهشام بن حكيم: **«إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه»**[1]. ، وفي النظر إلى روايات أخرى تحمل لفظ الأحرف السبعة التي مرت سابقاً، أستطيع القول أني لم أجد رواية صريحة تفسر المراد بالأحرف السبعة، حتى إن الصحابة لم يسألوا رسول الله ﷺ عن تفسيرها.

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى احتمالين:

- إما أن يكون مراد الأحرف السبعة معروفاً لديهم، لذلك أعرضوا عن السؤال عنها لبيانها ووضوح المراد بها.

- وإما عدم وضوحها وصعوبة معناها، وتعسر شرحها، وهو احتمال بعيد إذ أن الرسول ﷺ وجد بينهم ليفسر لهم كلامه، ومن البعيد أن يقول لهم كلاماً لا تفهمه مدارك عقولهم، وإذا سلمنا بأن أمرها كان غامضاً، فهل يعقل أنها لم تكن معروفة لديهم، وهم سلف الأمة، وأكثرها فهماً وعلماً بما أنزل اللّه، ثم يأتي بعد ذلك بمئات السنين أناس يفسرون معناها، ويكشفون حقيقتها، لذلك يبقى الاحتمال الأول أنهم سكتوا عن السؤال عنها لبيانها ووضوحها لديهم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه باب القرآن على سبعة أحرف برقم ٤٩٩٢.

لدى تأملنا في روايات الأحـاديث التي تحـمل ذكـر الأحـرف السبعة، نستطيع أن نتوصل إلى ما يلي:

١- القرآن الكريم نزل بحرف واحد، بدليل أن الصحابة ألفوا هذا الحرف، ودرجوا عليه.

٢- بينت الروايات الأخرى أن الله أراد الرحمة بهذه الأمة فأذن قراءة القرآن بأحرف متعددة رخصة لها ورحمة بها، حيث قال جبريل عليه السلام في الحديث السابق: **«إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف واحد»**

٣- فوجئ الصحابة بأن القرآن يقرئ على أوجه متعددة متغايرة مختلفة، وهذا ما دفع بعضهم إلى الإنكار لسماعه الأوجه المغايرة من غير رسول الله ﷺ.

٤- أزال الرسول ﷺ هذه الشبهات بالوضع الجديد، والرخصة من الله لهذه الأمة رحمة بها بجواز قراءته بأكثر من وجه، ثم بين لهم أن هذا الاختلاف ليس اختلاف تضاد وتناقض، بل هو توسع في مراد الله تعالى وزيادة في المعنى والإعجاز.

من هذه المناقشة استطيع القول بأن المراد بالأحرف السبعة هي: وجوه متعددة متنوعة منزلة في وجوه القراءة، يقرأ بها القرآن بأي وجه منها، وتكون قرآناً منزلاً من عند الله تعالى، وأقصى ما تبلغه الوجوه القرآنية المنزلة هو سبعة أوجه في الكلمة الواحدة، وليس شرطاً أن تكون في كل موضع».

هذا التعريف، قال به ابن حجر العسقلاني عند قول الإمام البخاري: « باب أنزل القرآن على سبعة أحرف»، أي على سبعة أوجه، يجوز أن يقرأ بكل وجه منها وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة منه أن تقرأ على سبعة أوجه بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة»[1].

ومن اطَّلع على علم القراءات وأخذه تلقياً ومشافهة يجد أن الكلمات القرآنية المختلف فيها بين القراء لا تزيد على سبعة أوجه، هذا بالنسبة للقراءات المتواترة والشاذة التي نقلت إلينا أحاداً، لأنها كانت قرآناً قبل العرضة الأخيرة ثم نسخت، وحديث رسول الله ﷺ: «**أنزل القرآن علي سبعة أحرف**» يدخل فيه القراءات العشر المتواترة والشاذ التي نقلت آحاداً، لكن بعد العرضة الأخيرة استقر القرآن على ما هو عليه الآن بقراءاته العشر المتواترة، ونسخت تلك الأوجه التي أراد نسخها، فتكون القراءات العشر المتواترة من الأحرف السبعة.

فإن قيل لا يوجد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أحرفٍ متواترة، بل أقصى كلمة تكون على ستة أوجه.

والجواب أن هذه الأحرف السبعة قد نسخ منها بعد العرضة الأخيرة، فقد عرض الرسول ﷺ القرآن مرتين على جبريل، وقد استقر القرآن بقراءاته العشر في العرضة الأخيرة، وقد نسخ منه أحرف، فلم يبق من تلك الأحرف السبعة التي يقرأ بها ويحكم بقرآنيتها إلا القراءات العشر المتواترة، وأقصى حد تصل فيه عدد الوجوه في هذه القراءات ستة أحرف، فإذا أخذنا القراءات الأربعة

(١) فتح الباري ٩/ ٢٣.

التي فوق التواتر والتي تسمى بالشاذة ووضعناها مع العشر سيكون أقصى حد في الأحرف هو سبعة، وقد كانت القراءات الشاذة قرآناً قبل العرضة الأخيرة ثم نسخت، ونقلت إلينا آحاداً، ففقدت قرآنيتها[1].

القراءات المتواترة:

اتفق علماء الفقه والأصول والقراءات في الأمة الإسلامية أن القرآن الكريم هو ما نقل إلينا بطريق التواتر بمعنى أن ينقله عدد كبير تحيل العادة تواطؤهم علي الكذب، وأن التواتر شرط لا بد تحققه في صحة القرآن، وإذا اختل هذا الركن لا يحكم عليه بالقرآن، وبالتالي تحرم قراءته في الصلاة.

لقد تقدم أن عثمان بن عفان رضي اللّه عنه أمر بنسخ المصاحف برسم يحتمل الأحرف السبعة التي استقرت بعد العرضة الأخيرة، وكانت هذه المصاحف علماً هاماً ومركزاً أساسياً يرجع إليه لمعرفة الصحيح من المنسوخ، ولثبيت هذه الرسم جعل القراءة موافقةً له بحيث تكون القراءة سماعاً ومشافهةً لا يدخل فيها القياس أو التشهي، فكان يقرأ أهل كل بلد مصحفهم الذي وصل إليهم على ما كانوا يقرؤونه قبل وصوله إليهم مما يوافق خط المصحف الذي وُجِّه إليهم، وتركوا من قراءتهم التي كانوا عليها مما يخالف خط المصحف، فاختلفت قراءة أهل كل مصر بما لا يخالف الخط، وسقط من قراءتهم كلهم ما يخالف الخط[2].

---

(١) حديث الأحرف السبعة بحث في مجلة الجامعة الإسلامية د/ عبد العزيز قاري.
(٢) الأبانة، ص ٣٧.

وعلى هذا الأمر جعل علماء القراءات موافقة رسم المصحف ركناً وشرطاً أساسياً في صحة القراءة المتواترة.

ولتثبيت هذا كله أرسل عثمان رضي الله عنه مع كل مصحف قارئاً حاذقاً يعلمهم القراءة التي أخذها من رسول الله ﷺ -أو من الصحابة- الموافقة للهجة التي درجوا عليها، وقد أقبل الناس متزاحمين على تلقي القرآن بقراءاته بنهم ورغبة، حتى وصل عدد الطلاب في حلقة أبي الدرداء إلى ألف وستمائة طالب.

كان من الأمر الطبيعي توسع البلاد الإسلامية، وكانت عملية الفتح سريعة، حيث أقبل الناس إلى دين الله، وكان كل يوم يدخل أفواج من الناس في دين الله من العرب والعجم.

وقد مضت المائة الأولى من الهجرة، والناس يتناقلون القرآن سماعاً ومشافهةً، إما من الصحابة عن رسول الله أو من التابعين عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

تحقق التواتر في القراءات العشر

كان المسلمون في الصدر الأول في الإسلام ملتزمين بنقل القراءات قراءة وسماعاً ومشافهة دون التفريق بين قراءة وأخرى أو رواية وأخرى، فكان أهل الشام يقرؤون حسب تلقيهم عن أبي الدرداء وأهل العراق يتلقون حسب قراءة عبدالله بن مسعود، ولم تكن القراءة تنسب لرجل بعينه خوفاً من أن يتوهم أنه لم يروها غيره،

أو يعتقد أنها اجتهاد خاص به دون موافقة أحد، وذلك بسبب قرب الناس بعهد النبوة، وعلو هممهم في القراءة والتحصيل.

بعد الصدر الأول في الإسلام قصرت الهمم، واتسعت البلاد الإسلامية، وتواكب الناس في دخول الإسلام، احتاج الأمر إلى تفرغ عدد من الضابطين المحققين في تتبع القراءات القرآنية وضبطها، وقد اتفقت الأمة على اختيار عدد من هؤلاء المحققين وذلك لضبطهم وشهرتهم وورعهم، وكانوا موزعين في الأمصار الخمسة التي وزعت إليها المصاحف وهم في كلٍ من المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام ففي مكة عبدالله بن كثير، ومحمد بن محيص، وحميد بن قيس الأعرج، وفي المدينة أبو جعفر بن يزيد القعقاع، وشيبة بن نصاح، ونافع بن أبي نعيم[1].

وفي الكوفة يحيى بن وثاب، وعاصم بن أبي النجود، والأعمش، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي الكسائي.

وفي البصرة عبدالله بن أبي إسحاق، وأبو عمرو بن العلا، وعاصم الجحدري، ويعقوب الحضرمي.

وفي الشام عبدالله بن عامر اليحصبي، وعطية بن قيس، ويحيى الذماري، وكان الناس يقرؤون بقراءة هؤلاء، ولا يعني أنه لا يوجد غيرهم يعرف القراءة، بل كان أهل كل بلد يتناقلون القراءة ويعرفونها، حتى إن أولئك القراء كانوا قلة قليلة بين جمهرة كبيرة من الناقلين لهذه القراءات، ونقل القراءات لا يقتصر على هؤلاء السبعة

(١) انظر: الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي، ص ٦٣.

أو العشرة، بل يصعب حصرهم لأنهم ألوف مؤلفة في كل جيل، واستيعاب الرواة والطرق أمرٌ صعب، ولكن الأمة اقتصرت على هؤلاء العشرة لشهرتهم وضبطهم، وكل قارئ له مئات من التلاميذ والرواة، وهم يروون عن شيوخهم إما كل القراءات أو بعضها، فاختارت الأمة من كل قارئ اثنين من تلاميذهم، حيث يصعب حصر التلاميذ جميعاً، وكان الاختيار لمن هو أكثر إتقاناً وشهرة من غيره.

يقول ابن الجزري: **«ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم، وقد أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، ولم يختلف اثنان ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم»**[1].

ولذلك لما بدأ عصر التدوين اختار ابن مجاهد من هذه الجمهرة القراء السبعة، وما قام به إنما هو اختيار من نفسه، بل كان الناس يقدمون أبا جعفر وشيبة والأعرج ويقرؤون بقراءاتهم. وعندما نسبت القراءة للأئمة السبعة أوالعشرة إنما لشهرتهم كقولهم قراءة نافع، وقراءة ابن عامر، وقراءة حمزة، فهذه النسبة نسبة اختيار واشتهار لا نسبة اقتصار، فالحروف التي أقرأ بها نافع مثلاً لم ينفرد بروايتها والإقراء بها دون غيره من القراء، وخاصة من أهل بلده مدينة رسول الله ﷺ، بل شاركه جمع كبير من القراء والناس في بلده، ولو أقرأ بشيء مخالف لأنكروا عليه، ولكنه اشتهر بها لضبطها وإتقانها.

ومن الجهل كل الجهل أن يظن أن القراء العشر فقط كانوا يعرفون

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٨.

القـراءات دون غـيـرهم، إنما هم قطرة من قطرٍ، ولكـن لشـهـرتهم وضبطهم تم اختيارهم.

يقـول ابن الجزري نقـلاً عن أبي حـيان: «**قد كـان في زمـان هؤلاء السبعة من أئمة الإسـلام الناقلين القـراءات علماء لا يحـصون، وإنما جاء مقرئ اختار هؤلاء وسـماهم، ولكسل بعض الناس وقصر الهمم وإرادة الله أن ينقص العلم اقتصروا على هؤلاء**»[1].

وشرط التواتر في صحة القراءة الصحيحة أمر لا بد من تحققه لأن القرآن لا يثبت بخبر الآحاد، والقراءات أبعاض القرآن، فهي منقولة بالتواتر، وبما أن القراء العشر عندما رووا قراءاتهم وافقهم عليها عامة المسلمين في البلاد والأمصار، إذ أنه لو روى واحد منهم قراءةً فيها شـذوذ لأنكر عليه أهل بلده، واعـتبروا أنهم لا مـعرفـة لهم بذلك الحـرف، وبالتـالي فـإنه أتى بشـاذ، وهذا لم يحـدث في البـلاد التي أرسلت إليها المصاحف العثمانية، والقراء العشر هم موزعون على الأمصار التي وزعت إليها المصاحف.

لعل البعض يروق له أن يستدل برأي ابن الجزري في عدم اشتراط التواتر في نقل القراءة المتواترة، حيث جعل صحة السند كافية في نقل القراءة الصحيحة، يقول ابن الجزري:

فكـلـمـــا وافـق وجـــه نحـــوي
وكـــان للـرسـم احـتـمـــالاً يحـــوي
وصـح إسـنـاداً هـو الـقـــــرآن
فـــهـــذه الثـــلاثة أركـــان

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٤٥.

في الحقيقة لابن الجزري في هذه المسألة قولان:

القول الأول : شرط التواتر في صحة القراءة ونقلها.

والقول الثاني : صحة السند تكفي في نقل القراءة الصحيحة، ولكن قوله الثاني ردّه جماعة من بعده لا سيما تلميذه الإمام النويري شارح طيبته، حيث يقول:

«وقوله ظاهره أن القرآن يكفي في ثبوته مع الشرطين المتقدمين صحة السند فقط، ولا يحتاج إلى تواتر، وهذا قول حادث مخالف لإجماع المحدثين وغيرهم، ولقد ضل بسبب هذا القول قوم فصاروا يقرؤون أحرفاً لا يصح لها سند أصلاً ويقولون التواتر ليس بشرط، وإذا طولبوا بسند صحيح لا يستطيعون، ثم قال مؤيدا اشتراط التواتر : القرآن عند أئمة المذاهب الأربعة منهم الغزالي وصدر الشريعة، هو ما نقل بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً، وحينئذ فلابد من التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة، ولم يخالف منهم أحد فيما علمت بعد الفحص الزائد، وأما القراء فأجمعوا في أول الزمان على ذلك، وكذلك في آخره لم يخالف أحد من المتأخرين إلا أبو محمد المكي»[1].

وغرض الإمام ابن الجزري أنه إذا كانت منقولة بسندٍ صحيح فلا يمنع التواتر من جهة أخرى، فهي متواترة عند آخرين.

على كلٍ يبقى هذا رأي لإمام واحد بين جمهرة الأمة الإسلامية، ومن المعلوم أن العمل على ما يوافق الأمة الإسلامية سلفاً وخلفاً،

(١) شرح الطيبة للإمام النويري، ص ٢٣ - ٢٤.

وقضية التواتر واشتراطها في نقل القراءة قضية محسومة منتهية في كتب الفقه والأصول.

ثم ليعلم أن انحصار الأسانيد في قارئ أو بعض القراء لا يعني أن القراءات محصورة عنده، بل إن القراءات كان يتلقاها أهل كل بلدٍ يقرأه منهم الجم الغفير عن مثلهم، ولكن القارئ تصدى لهذا العلمَ لتخصصه وشهرته، فجاء السند من جهته، ألا ترى حجة الوداع حضرها أكثر من مائة ألف صحابي، ولكنها رويت في كتب السنة عن صحابي واحدٍ أو اثنين، بينما تناقلها الناس جيلاً بعد جيلٍ.

سبب الاختلاف بين القراء والرواة

بعض من لا علم له يقول لماذا اختلفت قراءة حمزة عن قراءة الكسائي على الرغم أن الكسائي تلميذ حمزة وممن قرأ عليه، ولماذا اختلفت قراءة نافع عن أبي جعفر مع العلم أن الأول قرأ على الثاني.

ولماذا اختلفت رواية حفص عن شعبة والاثنان تلقيا القراءة عن عاصم؟ ويجاب على ذلك بأن كل قارئ كانت له مشيخة قي القراءة، لم يقتصر على شيخٍ واحد بل أخذ القراءة عن جمع من الشيوخ، وكان الواحد يرحل ويتجول في البلاد والأقطار ليأخذ القراءة عن الشيوخ، وعندما يتصدر للإقراء لا يقرئ بكل ما سمع بل يختار بعضاً من مسموعاته ومقرؤاته، والأمر مرجعه إلى التلقي والسماع وليس

إلى القياس بل هو اتبـاع الأثـر، فالقراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول.

انظر إلى قراءة ابن عامر، فإنه يقرأ لفظ «إبراهيم» بالياء في مواضع محددة في القرآن، وفي مواضع يقرؤها «إبراهام» والسبب في ذلك التلقي والسماع وليس القياس على الرغم أن اللفظ واحد.

ولو سئل القارئ ابن عامر عن ذلك لقال: هكذا أقرأني الصحابي أبو الدرداء رضي اللّه عنه، عن رسول اللّه ﷺ.

قراءة أبي جعفر في لفظ «يَحْزُن» يقرؤها بفتح الياء وضم الزاي في جميع القرآن، ولكنه يقـرأ الموضع في سورة الأنبياء «يُحْزِن» بضم الياء وكسر الـزاي فقط، واللفـظ واحد، والسبب في ذلك اتباع الأثر والرواية.

ولو سئل أبو جعفر عن ذلك لقال: هكذا أقرأني عبداللّه بن عباس رضي اللّه عنه، عن أبي بن كعب عن رسول اللّه ﷺ.

أما نافع فإنه يقرأ عكس قراءة شيخه السابق أبي جعفر فيقرأ في سائر القرآن بضم الياء وكسر الزاي، وفي الموضع الذي في سورة الأنبياء يقرؤه بفتح الياء وضم الزاي، وهكذا اتبع الأثر والرواية.

أما الاختلاف بين الرواة فمثلاً حفص وشعبة أخذا القراءة عن عاصم، ولكنهما اختلفا في الرواية في أكثر من خمسمائة موضع[1].

وذلك يرجع سببه إلى مايلي:

- اختيار الأرجح والأشهر في القراءة وتجنب الانفراد وما شذَّ من

(١) غاية النهاية للجزري ١/ ٢٥٤.

القراءة، وذلك حسب مابلغه من الشيخ، فربما سمع ما لم يسمه الثاني، وربما صح عند هذا ولم يصح عند ذاك.

- طلب التخفيف على التلاميذ، ومراعاة ما يناسبهم دون بعض، فعندما يأتي التلميذ على الشيخ للقراءة يقرؤه حسب أهل بلد التلميذ لأنهم يقرؤون القرآن على لهجتهم، فيحاول الشيخ مراعاة ذلك فيؤثر بعض التلاميذ بحروف دون البعض، انظر مثلاً إلى عاصم بن أبي النجود يقرئ شعبة بغير ما أقرأ به حفصاً، وبينهما اختلاف في أكثر من خمسمائة موضع في القرآن مع العلم أن مصدر القراءة لهما واحد وهو عاصم.

وهنا يستشكل هذا الاختلاف عند حفص، فيسأل شيخه عاصماً، قال: قلت لعاصم: أبو بكر شعبة يخالفني، فقال: أقرأتك بما أقرأني أبو عبدالرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب عن رسول اللّه ﷺ، وأقرأته بما أقرأني زرٌّ بن حبيش عن عبدالله بن مسعود عن رسول اللّه ﷺ.

أرأيت كيف أنهم يلتزمون بالقراءة الأثر والسماع والتلقي، ولا محل للقياس بذلك.

ماهو المتواتر اليوم من القراءات العشر

بعد هذه الجولة أقول ما قاله العلماء من قبل عن القراءات العشر المتواترة التي يقرأ بها المسلمون اليوم في الكليات والمعاهد والجامعات

والتي يأخذها الطلاب عن الشيوخ بأنها قراءات متواترة جملةً وتفصيلاً، سواء في ذلك ما اجتمعوا عليه وما اختلفوا فيه، وما كان أداءً أو غير ذلك وهم بذلك متبعون لا مقلدون ملتزمون بركن التواتر، وهذا القراءات المتواترة هي أبعاض القرآن، فمن أنكر حرفاً من هذه القراءات عامداً عالماً فإنه يكفر ويخرج عن الدين لأنه إنكار لبعض أجزاء القرآن[1].

يقول الإمام الجزري سائلاً الإمام السبكي قاضي القضاة:

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وهداة المسلمين في القراءات العشر التي يقرأ بها اليوم، هل هي متواترة أم غير متواترة؟ وهل كل ما انفرد به واحد من الأئمة العشرة بحرف من الحروف متواترة أم لا؟ وإذا كانت متواترة فماذا يجب على من جحدها أو حرفاً منها.

أفتونا مأجورين رضي اللّه عنكم أجمعين.

فأجابني ما صورته ومن خطه نقلت:

الحمد للّه. القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي، والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر، وقراءة يعقوب وقراءة خلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة، وكل حرف انفرد به واحدٌ من العشرة متواتر معلوم من الدين بالضرورة أنه منزّل على رسول اللّه ﷺ لا يكابر في ذاك إلا جاهل، وليس التواتر في شيء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات، بل هي متواترة عند كل مسلم يقول: أشهد أن لا إله إلا

(١) إجماع علماء الأمة أن من أنكر حرفاً من القراءات السبع المتواترة يكفر، وعلى الرأي الراجح يكفر من أنكر حرفاً من القراءات الثلاثة المتواترة المتممة للعشر.

اللّه وأشهد أن محمد رسول اللّه، ولو كان ذلك عامياً جلفاً لا يحفظ من القرآن حرفاً، ولهذا تقرير طويل وبرهان عريض لا تسع هذه الورقة شرحه، وحظ كل مسلم وحقه أن يدين اللّه تعالى يجزم نفسه بأن ماذكرناه متواتر معلوم باليقين لا تتطرق الظنون ولا الارتياب إلى شيء منه. واللّه تعالى أعلم.

كتبه عبدالوهاب السبكي[1] . اهـ

والبعض يدعي التواتر فيما اتفق واجتمع عليه القراء لا فيما اختلفوا في، وهذا القول فاسد لا صحة له، وهو مرفوض تماما، وقد فند هذا القول الإمام ابن الجزري رحمه اللّه فقال: أما من قال إن القراءات المتواترة حال اجتماع القراء لا حال افتراقهم، فأبو شامة في المرشد الوجيز[2] حيث بين أن التواتر فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق. . . .

قال ابن الجزري: انظر يا أخي إلى هذا الكلام الساقط الذي خرج من غير تأمل وأوقفت عليها شيخنا الإمام أبا محمد، فقال: ينبغي أن يعدم هذا الكتاب من الوجود ولا يظهر ألبتة، وأنه طعن في الدين[3].

لذلك أهيب بكل مسلم عنده غيرة على كتاب اللّه أن يشفق على نفسه، فيتأدب مع كتاب اللّه وقراءاته المتواترة، وألا يشط لسانه فينتقص قرآنية هذه القراءات المتواترة.

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٤٥، منجد المقرئين، ص ٥٠ - ٥١.
(٢) ص/ ١٧٧.
(٣) منجد المقرئين، ص ٦٣.

وإذا كان غير عالم بهذا الفن، فعليه أن يترك الأمر لأهله ورجاله، وأخشى ما أخشاه عليه أن يلقى اللّه بهذا الاعتقاد المظلم الذي فيه ما فيه؟؟

ولا أدري لماذا يضيق ذرعاً بعض المتعلمين من غير أهل هذا الفن عندما يُذكر له بأن القراءات متواترة، أهو مرض قلبي أو هوىً متبع، أم هو جهل وعدم معرفة بأحكام الدين.

ثم لماذا لا يُسلِّم لهؤلاء القراء العدول الذين أجمعت الأمة على إمامتهم وعدلهم وضبطهم.

ألا يكفي أن ابن عمر الصحابي الفقيه قدم أبا جعفر المدني القارئ إماماً وصلى خلفه مؤتماً بصلاته، فسلَّم له بما يقرأ، وأما الإمام حمزة الكوفي الذي تنسب له القراءة المتواترة، فقد قرأ عليه شيخ الحديث في زمانه سفيان الثوري وسلّم له في القراءة، وقال له، شيئآن غلبتنا لاننازعك فيهما ياحمزة القرآن والفرائض، وقال إمام دار الهجرة مالك رحمه اللّه: قراءة نافع هي السنة، وقد قرأ عليه القرآن، وكان الشافعي يقرأ بقراءة ابن كثير.

فلا أدري لماذا لا يُسلَّم لقراءة هؤلاء الأئمة بعض الناس اليوم، فيحاول أن يشكك في تواتر القراءات.

قال الإمام السخاوي نقلاً عن شيخه الإمام الشاطبي: والقراءة لا يتوصل إليها إلا بالنقل، ولا مدخل فيها للرأي، ولم يذهب إلى هذه البدعة - أي الطعن في التواتر - إلا أحد رجلين:

نحوي لا معرفة له بالآثار وبأحوال الصدر الأول وحمايتهم وذبهم واهتمامهم.

أو رجل غلبت عليه المقاييس والآراء واستحوذ عليه هواه[1]. اهـ.

قال المؤلف: رحم الله الإمام الشاطبي فهو يتكلم عن نحاة زمانه، وهي زلة تتكرر في كل عصر.

---

(١) فتح الوصيد في شرح القصيد للإمام السخاوي بتحقيقنا ١/ ٢٠٣.

المطلب السادس

الرد على من زعم أن عثمان ألزم الأمة قراءة القرآن بحرف واحد

وقد عللوا هذا القول بأن الأمة أمرت بحفظ القرآن، وخُيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت، ثم دعت الحاجة في زمن عثمان إلى الالتزام بحرف واحد مخافة الفتنة، وإلغاء الأحرف الستة الأخرى، وهذا القول مردود لا يحتج به.

نعم إن الأمة المحمدية أمرت بحفظ القرآن وخيرت في قراءته وحفظه على سبعة أحرف، ونحن نعلم أن كل حرف من الأحرف السبعة بمنزلة الآية، ولم يكن عثمان رضي الله عنه ولا الصحابة مفوضين بإلغاء شيء منها، وإلا لكان شيء من القرآن لم يصلنا، وإلغاء عثمان شيء منها إنما هو إلغاء جزء من كتاب الله، وكيف يقول ابن جرير رحمه الله: « **ثم درست من الأمة معرفتها ،وتعفت آثارها ، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها**»[1].

ونحن نعلم أنَّ الحكمة من الأحرف السبعة التخفيف على الأمة، ففي الأمة إلى يوم القيامة العجوز والصبي والجارية و الشيخ الفاني، فوجودها لا بد منه إلى يوم القيامة.

وحاشا أن يفعل عثمان ذلك، بل كان يخشى الجدل والشجار بين المسلمين وتعصب كل فريق لقراءته وتخطئة كل فريق قراءة الآخر.

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ١/ ٦٤.

ولو كان قصدُ عثمان جمعَ الناس على حرف واحد وإلغاء بقية الأحرف المتواترة التي نزل بها القرآن لما كانت المصاحف متفاوتة في الزيادة والنقص، والإثبات والحذف، ولذلك فإن كتابتها بهذه الكيفية التي أرادها عثمان مستند قوي لمن قال إنه أراد جمع الناس على ماتواتر من القراءات وإسقاط الشاذ والمنسوخ.

والصحيح من ذلك أن عثمان ألزم الأمة بقراءة توافق المصحف الذي نسخه، وألغى كل قراءة لاتوافق رسم المصحف الذي جمعه، والقراءات العشر المتواترة توافق رسم المصحف الذي جمعه، بخلاف القراءات المنسوخة فإنها تخالف رسم المصحف ولذلك أسقطها.

وأما القول: بأن الأمة مخيرة في الأخذ بهذه الحروف، ولم تكن ملزمة، لأنها رخصة من عند الله[1].

فيجاب عنه: أن التخيير للقارىء بواحد من تلك الأحرف حسبما يتيسر له إنما هو مع صحة السند وتواتره عن النبي ﷺ، ولا يجوز أن تختار كل قبيلة ما يحلو لها فربما اختارت حرفاً من الأحرف الذي لم يأت به الرسول ﷺ كما زعم القاضي عياض من أنه رخص للصحابة القراءة بالمعنى تيسيراً لهم، ثم نسخ بعد ذلك وحجته في ذلك، أن أبا الدرداء كان يقرىء رجلاً ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾[2] فجعل الرجل يقول: ﴿إن

---

(١) وهو قول ابن جرير الطبري السابق.

(٢) الدخان ٤٣ - ٤٤.

شجرة الزقوم طعام اليتيم﴾، فلم يستطع الرجل نطقها، ولما أكثر عليه أبو الدرداء، ورآه لا يفهم، قال: **إن شجرة الزقوم طعام الفاجر**[1].

وهذه روايات ليس لها مستند من الصحة، وعلى فرض صحتها يكون فعل أبي الدرداء تفسيراً لهذه الكلمة، فلما رأى الرجل لا يفهم أن لسانه لا يساعده على النطق بالكلمة، بين أبو الدرداء أن (**الأثيم هو الفاجر**)، فعند ذلك قرأها الرجل تفسيراً، ليساعده بعد ذلك على النطق بالكلمة القرآنية الصحيحة كما أنزلت.

قال الطحاوي[2]: إنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ، ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ، ومثله قال ابن عبدالبر والباقلاني وغيرهم.

ويحتجون بالقراءة بالمعنى ما حكي عن عبدالله بن المبارك أنه كان لا يرد على أحد حرفاً إذا قرأ به[3].

وأما هذا الاحتجاج فمردود عليهم، لأن معنى فعل ابن المبارك أنه لايعترض على القارىء إذا قرأ بأي حرف من الحروف التي أذن الله بقرائتها وثبت سماعها من رسول الله ﷺ، ولا يخطر في بالنا أن عبدالله بن المبارك الذي عرف بتمسكه بالشريعة مع الزهد والورع أن يبيح القراءة اختياراً وإتباعاً للهوى وتشهياً للنفس.

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٢٢/ ٤٣.
(٢) روح المعاني ج ٢٥/ ١٣٢.
(٣) روح المعاني ج ٢٥/ ١٣٢.

وإذا ثبت أن صحابياً أبدل بعد رسول الله ﷺ فيحمل على أنه لم يطلع على النسخ.

ونلاحظ في كلام النبوة أن رسول الله ﷺ لم يرض من الصحابي أن يبدل كلمة بدل كلمة في دعاء نبوي مع توافق المعنى، عندما قال للبراء بن عازب[1]: « **إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل اللهم إني أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت** .

قال البراء بن عازب: فرددتهن لأستذكرهن، فقلت: آمنت برسولك الذي أرسلت، قال: **أمنت بنبيك الذي أرسلت**.

فعدم جواز ذلك في كتاب الله أولى.

ولا يظن أبدا أن أبا الدرداء أبدل كلمة مكان كلمة من كتاب الله، وكيف يعتقد ذلك وقد قال الله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[2] فحفظه من التغيير والتبديل على مر العصور.

ولو جوز أن تبدل كلمة مكان كلمة من كتاب الله، وأن كل قبيلة مفوضة في ذلك، لضاع كتاب الله، ولضاعت ناحية هامة من نواحي إعجاز القرآن الكريم، ولما كان هناك معنى للتحدي به، بل ولما كان هناك مبرر لما قام به عثمان لكتابة المصاحف وإحراق غيرها. وادعى بعضهم - مثل جولدزيهر - أن حديث «**أنزل القرآن على سبعة**

(١) صحيح مسلم باب الدعاء عند النوم ٩/ ٣٢.
(٢) الحجر آية: ٩.

أوجـــه» فيه غموض، لم يحـل بـعـد، وهـو ادعـاء خـاطـىء، فلو كان غامضاً لـسـأل عـنـه الصحابة رسول الـله ﷺ، بل سـمعوه من النـبي ﷺ على ظاهره وعلـمـوا مـراده، ولم يرد دليلٌ يثبت أنهم سـألوا أو سـئلوا عـن ذلـك، وليـس في شـريعـة الإسـلام غـموض، وليس من الإنصاف أن ندعي أن هـذا الحديث لم يكـن مـعـلومـاً لدى الصـدر الأول من الإسـلام، ثم جـاء آخـرون في الـقـرون المتـأخـرة وبينـوه للأمـة، ولكن كـان مـعـلومـا بدليل سـكوتهم عـن تفسير مـعـنى الأحرف، وتفسيره يكون حسب اجتهاد العلماء.

وكم من المسائل التي لم تبحث في عصر الصحابة، بل ترك الأمر فيـها للاجـتـهاد، وقـد اختلف فـيـهـا العلماء، ومـثال ذلك قـول الله تعالى: **﴿والمطلقات يتربص بأنفسهن ثلاثة قروء﴾**[1].

نجـد لفظ «قـروء» يحـتـمل أكـثـر من مـعنى واحـد في الوضع اللغوي، العربي.

قال أبو عمرو بن العلاء:

«من العرب من يسمي الحيض قرءاً، ومنهم من يسمي الطهر قرءاً، ومنهم من يجمعها جميعا، فيسمي الطهر مع الحيض قرءاً»[2].

قـال أبو بكر الجصـاص: **«قد حـصل من اتفاق السلف وقوع سم الأقراء على المعنيين من الحيض ومن الأطهار»**[3].

---

(١) الحجر: آية ٩.

(٢) تفسير القرطبي ٣/ ١١٣.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ١/ ٤٣٠.

قال الإمام القرطبي في تفسيره «اختلف العلماء في الأقراء، فقال أهل الكوفة: هي الحيض، وهو قول عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي موسى، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وعكرمة.

وقال أهل الحجاز: «**هي الأطهار، وهو قول عائشة، وابن عمر، وزيد بن ثابت، والزهري . . .**»[1].

ومن هنا بقي الكلام محتملاً، وذلك لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، توسعة على الأمة ورحمة بها.

---

(١) تفسير القرطبي ٣/ ١١٣.

المطلب السابع

معارضة عبدالله بن مسعود جمع عثمان

تلقى عبد الله بن مسعود القرأن غضاً من رسول الله ﷺ، حيث أخذ من فيه سبعين سورة، ولما رحل إلى العراق أقرأ أهلها القراءة التي تلقاها عن رسول الله ﷺ، وهي لغة هذيل. وكان ملتزماً بها لا يرضى أن يحيد عنها بحال، بل يريد حمل الناس عليها، وكانت عنده أحرف قرآنية نسخت فيما بعد، ولم يبلغه نسخها، وفعله هذا لم يوافقه عليه أحد، فقد أنكر عمر رضي الله عنه على ابن مسعود قراءته «عتى حين» أي: «حتى حين»، وكتب إليه: أن القرآن لم ينزل بلغة هذيل، فأقرىء الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل، وكان ذلك قبل أن يجمع عثمان رضي الله عنه المصاحف.

وبقي عبدالله بن مسعود متمسكاً بقراءته، يريد حمل الناس عليها، كما أن أهل الشام قرؤوا القرآن بقراءة أبي بن كعب.

ولما جمع عثمان القرآن وكتبه على لغة قريش، أمر بحرف المصاحف كلها سوى المصاحف التي أمر بنسخها، بقي عبدالله بن مسعود معارضاً لهذا الجمع، لأنه يرى أن الحرف الذي أخذه عن رسول الله ﷺ أولى بالاتباع، والأمر الآخر أن عثمان لم يستدعه إلى جمع المصاحف وكتابتها، كل ذلك كانا من الأسباب التي دفعته أن يقول في العراق: «**يامعشر المسلمين أعزل عن نسخ**

كتابة المصاحف ويتولاها رجل ، والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر»[1] .

ولكن لأمير المؤمنين حجة في فعله، حيث إن الجمع تم في المدينة تحت ظروف صعبة، فاختلاف أهل الشام والعراق في القراءة حتى كفر بعضهم بعضاً دعا خليفة المسلمين أن يتعجل في القضاء على هذه العاصفة العاتية بأقصى سرعة ممكنة، فاختار لهذا الجمع زيد بن ثابت، وعبدالله بان مسعود كان في العراق، فأنى لعثمان أن يأتي به؟

ثم إن زيد بن ثابت موجود في المدينة، وهو يساوي عبدالله ابن مسعود بل ربما فاق عليه، لأنه من كتاب الوحي، وكان رئيس اللجنة التي اختارها أبو بكر للجمع الأول، وشهد له بالإتقان وقال له: « **إنك شاب عاقل لا نتهمك ، وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فقم واجمع القرآن**»[2] فصارت عنده خبرة في الجمع والكتابة والرسم[3] .

وكان من الذين جمعوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ، ومن الذي حضروا العرضة الأخيرة .

وعندما أمر الخليفة بحرق المصاحف قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : «**يا أهل العراق اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها**»[4] ، ورفض أن يحرق مصحفه .

وقال غاضباً : «**يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويتولاها رجل ، والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر**»[5] .

---

(١) كتاب المصاحف ص ٣٤. سنن الترمذي ٤/ ٤٤٨ .
(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير ٥/ ٢١٠ .
(٣) انظر : مناهج المفسرين . د. مصطفى مسلم ص ١٠٦ .
(٤) كتاب المصاحف ص ٣٤. مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه د. عدنان زرزور ص ١٢١ .
(٥) فتح الباري ٨/ ٦٣٦ .

وقال لعثمان: كيف تأمرني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت، وقد قرأت من فيّ رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة.

وكل هذا من عبدالله بن مسعود رضي الله عنه غيرة على كتاب الله، ولكن عندما ظهرت له المصلحة تراجع عن موقفه السابق وحرق مصحفه الخاص.

قال الزهري[1]: فبلغني أن ذلك كره من مقالة ابن مسعود رضي الله عنه: رجال من أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ.

وما انفرد به عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أو غيره، فهي كلمات تفسيرية كان يكتبها على مصحفه.

قال الإمام النووي:

وأما ابن مسعود رضي الله عنه فرويت عنه روايات كثيرة منها ماليس بثابت عند أهل النقل، وما ثبت منها مخالفاً لما قلناه فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير، وبالنسبة لفعل عثمان فكان نسخاً أو استنساخاً للقرآن وليس جمعاً جديداً له، فلا داعي لتكليف ابن مسعود في هذا العمل أو انتظاره ليحضر من الكوفة إلى المدينة[2].

قال ابن حجر[3]: والعذر لعثمان رضي الله عنه أنه فعله بالمدينة، وابن مسعود رضي الله عنه في الكوفة، ولم يؤخر ما عزم عليه.

أما مصحفه فلم يكتب فيه الحمد لله والمعوذتين، وعذره أن المصحف كتبه لنفسه مخافة النسيان، وأما السور القصيرة فهي في مأمن من ذلك.

---

(١) فتح الباري ٨/ ٦٣٦، جامع الأصول لابن الأثير الجزري ٢/ ٦، والمصاحف ص ١٤.
(٢) فضائل القرآن ١٨٠.
(٣) فتح الباري ٨/ ٦٣٦.

المطلب الثامن

الأوجه القرآنية المنسوبة لأبيّ بن كعب ورجوعه عنها

كان أُبي بن كعب الأنصاري أحد كتبة الوحي، فقد استعمله رسول الله ﷺ في كتابة الوحي، وكتابة الرسائل التي وجهت للأمراء وزعماء القبائل. وكان لدى أُبي طاقات عظيمة سخرها في خدمة كتاب الله، وقد أدرك النبي ﷺ هذه الطاقات فقال: «**خذوا القرآن من أربعة: من عبدالله ابن مسعود، وسالم مولي أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب**»(١).

عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه من جمع القرآن على النبي ﷺ قال: «**أربعة كلهم من الأنصار: أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبوزيد**»(٢).

ولعل المراد بالجمع: جمع القرآن بقراءاته وأحرفه على رسول الله ﷺ كاملاً، أو المراد بجمعه من فيه مباشرة.

ومن أعظم الخصائص والمزايا التي انفرد بها أُبي بن كعب رضي الله عنه عن غيره أن الله أمر نبيه ﷺ أن يقرأ القرآن على أُبي.

قال رسول الله ﷺ لأُبي: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك**» قال: سماني لك؟ قال: «**الله سماك لي**» فجعل أُبي يبكي(٣).

---

(١) صحيح البخاري فضائل الصحابة ٤/ ٢١٨.

(٢) فتح الباري ٩/ ٥١.

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل ٧/ ١٥٠.

ويدلنا على عظم منزلته بين أصحابه دقته وشدة ضبطه لكتاب الله حتى صار مرجعاً بين الصحابة، فقد صلى النبي ﷺ صلاة جهرية، وأسقطت منه آية، فلما سلم قال: هل في القوم أبي؟[1].

ونظراً لهذه الدقة كان أبي رضي الله عنه إذا أخذ قراءة من الرسول ﷺ لا يرجع عنها بحال، ولو أخبره غيره أن تلاوته نسخت، لأنه سمع ذلك من رسول الله ﷺ فحصل عنده القطع، ولذلك نقلت عنه بعض الأحرف المنسوخة والتي كان يقرأ بها، وكانت له قراءة خاصة يقرىء بها الناس اشتهرت في بلاد الشام.

وقد ذكر ابن أبي داود في كتاب المصاحف[2] أن نفراً من أهل دمشق قدموا المدينة، فغدوا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما قرؤوا هذه الآية: **﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية - ولو حميتم كما حموا المسجد الحرام - فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾** فدعي أبي، وقال عمر: اقرؤوا، فقرؤوا، فقال أبي: أنا أقرأتهم، فقال عمر لزيد: إقرأ، فقرأ زيد قراءة العامة، فقال: اللهم لا أعرف إلا هذا، فقال أبي: والله يا عمر، إنك لتعلم أني كنت أحضر ويغيبون، فقال عمر: اللهم غفرانك لتعلم أن الله قد جعل عندك علماً، فعلم الناس ما علمت».

وقد شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي بن كعب بتخصصه وتعمقه في القراءة مع تحفظ في قراءته الخاصة التي كان يخالف بها عامة الناس[3].

---

(١) انظر الدر المأثور في التفسير المأثور للسيوطي ٦/ ٢٣٤.

(٢) كتاب المصاحف ١٧٥.

(٣) منهج المفسرين د. مصطفى مسلم، ص ١٤٧.

عن ابـن عبـاس رضـي الله عنه قال عـمر أبي أقرؤنا، وإنا لندع من لحـن أبي، وأبـي يقـول أخـذته من في رسـول الله ﷺ، فـلا أتركه لشيء أبداً[1].

ومعنى قول عـمر رضي الله عنه «وإنا لندع من لحن»: وإنا لنترك بعض الأحرف التي انفرد بها أبي، وهذه الأحرف كانت موجودة قبل جمع عثمان للقرآن كان يقرأ ويقرىء بها.

اشترك أبي في جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان، وقد تولى إملاء القرآن علي الكتبة، وبعد نسخ المصاحف في عهد عثمان التزم أبي بهـذا الجمع وترك مصـحفه الخاص به، وترك القراءة التي التزم بها، وتراجع عما كان يقول به من أحرف منسوخة كانت تقرأ قبل العرضة الأخيرة.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩/ ٤٧.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

خاتمة

وفي ختام البحث توصلت إلى نتائج مهمة أجد من الحسن تلخيصها في عدة نقاط :

١- حفظ الله لكتابه العظيم من تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وهو وعد قطعه على نفسه بقوله : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[1] .

٢- أنزل الله القرآن على سبعة أوجه تخفيفاً للأمة الإسلامية ورحمة بها، فهي مأمورة أن تقرأ بأي وجه شاءت .

٣- القرآن الذي بين أيدينا هو القرآن الذي قرىء في العرضة الأخيرة واستقر عليه، وهو الذي تم جمعه في عهد عثمان دون تحريف أو تغيير .

٤- المصاحف العثمانية كتبت من غير تنقيط أو تشكيل وذلك لتحتمل الأوجه السبعة التي نزل بها القرآن .

٥- وجوب كتابة المصحف بالرسم العثماني، لأنه أمر توقيفي، وهو أحد أركان القراءة الصحيحة، وذلك لاحتمال رسم الأحرف السبعة .

٦- لم يلزم عثمان بن عفان الأمة بقراءة القرآن على حرف واحد، بل ترك الأمر لها أن تختار ما تريد قراءته،

(١) الحجر: آية (٩).

إذا كـــان الحـرف يحتـمله رسم المصـحف ومـقـــروءاً في العـرضـة الأخيرة، وألغى القراءات القرآنية التي لايحتملها رسم المصحف ؛ لأنها منسوخة بالعرضة الأخيرة.

٧- تصويب فعل عثمان بحرق المصاحف التي فيها أوجه قرآنية كانت تقرىء قبل العرضة الأخيرة، وذلك ليبعد كل ما ليس قرآناً، أو كلمات تفسيرية يخشى أن تختلط بالقرآن.

٨- مواقف متعجلة برزت من بعض صحابة رسول الله ﷺ ضد فعل عثمان ثم رجوعهم عن ذلك، بل وافقوا عثمان بعد ذلك علي جمعه الأخير، وأحرقوا مصاحفهم، لأنهم رأوا الحق في فعله.

٩- القـراءات العـشـر المتـواترة التي نقـرأ اليـوم في الجـامـعـات والمؤســسات القرآنية العلمية هي من الأحرف السبعة التي قال عنها رســول الــله ﷺ **«إن هـذا القرآن أنـزل على سبعة أحرفٍ فاقرؤوا ما تيسر منه»**.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق إلى علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني، القاهرة، مطبعة مصطفي الحلبي، ط أولى، ١٤٠٢ هـ

٣- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ط ثالثة، ١٩٥١م.

٤- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، بيروت، دار الفكر، ط ثانية ١٩٧٨م.

٥- البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة مطبعة عيسى الحلبي، ط ثانية ١٩٧٢م.

٦- تذكرة الحفاظ. للإمام الذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت

٧- جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ثانية ١٣٧٢هـ.

٨- الحجة للقراء السبعة. لأبي علي الفارسي، تحقيق بدر القهوجي. طبعة دار المأمون. دمشق ط أولى ١٤٠٤هـ.

٩- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى، ط ثانية.

١٠- الدر المصون في إعراب القرآن، للسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد الخراط، دمشق، دار القلم، ط أولى، ١٤٠٦هـ.

١١- رسم المصحف العثماني للدكتور عبدالفتاح شلبي. دار المنارة. ط ١٤١٠هـ.

١٢- روح المعاني للآلوسي دار أحياء التراث العربي، بيروت.
١٣- زاد المسير في علم التفسير، بيروت، المكتب الإسلامي ط أولى.
١٤- السبعة في القراءات، تأليف أحمد بن مجاهد، تحقيق. شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٢م.
١٥- سنن أبي داود دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٦- شرح العمدة، لابن مالك، تحقيق د. عدنان الدوري، بغداد، مطبعة العاني ١٣٩٧هـ.
١٧- شرح المفصل، لابن يعيش، بيروت، عالم الكتب.
١٨- صحيح مسلم بشرح النووي دار الفكر، بيروت.
١٩- فتح البارئ بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.
٢٠- فتح الوصيد في شرح القصيد علم الدين السخاوي، تحقيق د. أحمد الزعبي، رسالة دكتوراه، (طبع كمبيوتر).
٢١- كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.
٢٢- الكشاف عن حقائق التنزيل، للزمخشري، بيروت، دار المعرفة.
٢٣- مباحث في علوم القرآن. الشيخ مناع القطان. مكتبة المعارف. السعودية. ط ثانية ١٤١٧هـ.
٢٤- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، د. عدنان زرزور. دار القلم. سورية. ط أولى ١٤١٦هـ.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الكتاب

١- شكر وثناء ١
٢- كلمة سعادة الوكيل المساعد لشئون القرآن الكريم والدراسات الإسلامية والحج ٢
٣- كلمة مدير إدارة شؤون القرآن الكريم ٣
٤- المؤلف في سطور ٥
٥- مقدمة ٨
٦- المطلب الأول مراحل جمع القرآن الكريم ١١
٧- في العهد النبوي ١١
٨- في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ١٣
٩- في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ١٥
١٠- الحكمة من تحريف عثمان رضي الله عنه للمصاحف ٢٠
١١- بيان الرسم العثماني ٢٢
١٢- مذاهب العلماء في التزام الرسم العثماني ٢٣
١٣- نقض أوهام المستشرقين في القراءات المتواترة ٢٥
١٤- في بيان معنى الأحرف السبعة ٣٠
١٥- القول الراجح في حقيقة الأحرف السبعة ٣٦
١٦- تحقق التواتر في القراءات العشر ٤٠
١٧- سبب الاختلاف بين القراء والرواة ٤٥
١٨- ما هو المتواتر اليوم من القراءات العشر ٤٧
١٩- الرد على من زعم أن عثمان بن عفان رضي الله عنه ألزم الأمة قراءة القرآن بحرف واحد ٥٢
٢٠- معارضة عبدالله بن مسعود جمع عثمان ٥٨
٢١- الأوجه القرآنية المنسوبة لأبي بن كعب ورجوعه عنها. ٦١
٢٢- خاتمة ٦٤

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هذا الكتاب

* توضيحٌ لمعنى الأحرف السبعة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه" ، وبيان حكمة نزول القرآن بها.

* سبب اختلاف المسلمين في قراءة القرآن على عهد عثمان رضي الله عنه أنهم كانوا يقرؤون أحرفاً قرآنية منسوخة كانت قرآناً قبل العرضة الأخيرة ، ولم يبلغهم نسخها ، فسمع بعضهم قراءة بعض ، فرأوا اختلافاً في وجوه القراءة ، فتعصب كل فريق لقراءته ، فرأى حذيفة ذلك فأفزعه ما رأى ، فذهب إلى المدينة وأخبر عثمان بذلك.

* الرد على من زعم أن عثمان ألزم الأمة بقراءة القرآن على وجه واحد وإلغاء الأحرف الأخرى ، بل جمعه في رسم يحتمل الأحرف القرآنية المتواترة المقروء بها بعد العرضة الأخيرة ، وألغى سوى ذلك من المصاحف لأن فيها أحرفاً منسوخة كانت قرآناً قبل العرضة الأخيرة ثم نسخت.

* القراءات القرآنية العشر المتواترة والتي تقرأ اليوم في العالم الإسلامي في المعاهد والجامعات هي من الأحرف السبعة ، وهي متواترة جملةً وتفصيلاً ، لأنها أبعاض القرآن ، من أنكر حرفاً من القراءات السبع المتواترة عالماً عامداً كفر وخرج من الدين ، وهو محل إجماع عند علماء المسلمين ، وكذا الحكم في من أنكر حرفاً من القراءات الثلاث المتواترة المتممة للعشر على الرأي الراجح .

نشر وتوزيع
مكتبة دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت ـ حولي ـ شارع المثنى قرب مطعم الجولان
هاتف وفاكس : 2616490 ـ ص.ب : 7097 حولي ـ الرمز البريدي : 32091